لقاء ايلول طوق نجاة ضعيف في بحر التسوية الهائج

تصريحات فانس عكست البلبلة المستحكمة في الخطوات الامريكية

في اجابته على الصحافيين الذين سألوه عن مضمون الرسالة التي بعث بها الى مناحيم بيغن قال الرئيس الامريكي « في الظرف الراهن لا نعرف ما سنفعل » ولم يكن هربا من التساؤلات الصحفية ، ولا تمويها على مؤامرة « رجعية - امبريالية - صهيونية » تحاول الدوائر الامريكية تنفيذها في الشرق الاوسط ، بل هي في واقع الامر تعبيرا حيا عن مسار السياسة الامريكية في طريق الصراع العربي - الصهيوني ، حيث تعاني الاستراتيجية الامريكية من تخبط ملموس نابع من ترددها في الوصول الى قرار حاسم ، فهي تريد ان تصل الى تسوية شاملة تكون فيها اسرائيل قوية ، وفي الوقت ذاته تحفظ لها مصالحها وعلاقاتها مع حلفائها - اي امريكا - في الوطن العربي ، وتحقيق ذلك فيه نوع من المستحيل .

ولسنا بحاجة الى العودة كثيرا الى الوراء لرصد تخبط الخطوات الامريكية على طريق التسوية ، يكفي فقط مراجعة التصريحات التي ادلى بها فانس منذ مغادرته واشنطن الى يوم انتهاء محادثاته المكثفة في كل من « اسرائيل » ومصر . في البدء اكد فانس « ان محادثات السلام في الشرق الاوسط قد وصلت الى نقطة حاسمة ، وان الولايات المتحدة مستعدة لتقديم مقترحاتها الخاصة لاستئنافها من جديد » . ويضيف انه «سيكون من الواجب بذل جهود جديدة، واذا كانت هناك ضرورة فاننا سنكون كما قلنا دوما مستعدين لتقديم اقتراحات لسد الفجوات واستئناف المفاوضات » . وكان فانس قبل تصريحه هذا قد ادلى باخر استبعد فيه تقدم الولايات المتحدة باية مقترحات امريكية ما لم يكن قد قدم تقريرا الى الرئيس الامريكي جيمي كارتر حول رحلته المقبلة - التي قام بها الى الشرق الاوسط - .

وفي تل ابيب لم يقل فانس اكثر من « اننا نشترك في الرأي القائل بالاهمية العظمى لتحريك العملية ثانية ، لاننا نسعى كلنا الى السلام ، وانكم الوحيدون الذين تستطيعون العمل على تقدم المفاوضات ، وسوف نبذل من جانبنا اقصى جهد لمساعدتكم » . هكذا وقبل مضي ساعات حاشى فانس ذكر الاشارة الى احتمال تقديم مقترحات امريكية .

وبعد مقابلته لنظيره المصري ، وقبل بدء محادثاته مع السادات رفض فانس التعليق على سؤال عما اذا كان يحمل مقترحات جديدة من اجل كسر الجمود المحيط بالموقف . واكتفى بالتعبير عن سعادته للعودة ثانية الى القاهرة ، واكد على الرسالة التي يحملها معه من كارتر الى السادات .

وبالاضافة الى ما سبق واشرنا اليه ، فان امريكا بدأت تشعر من جديد بعودة المنطقة الى حالة من الاسلم والاحرب المشبعة بجو مشحون بالتوتر والتصعيد المتجه نحو الحرب . لمست ذلك في خطاب السادات الذي القاه بعد فشل محادثات ليدز، وكذلك في تصريحات بيغن الاخيرة . اكثر من ذلك تخشى امريكا ان يؤدي فشل المحادثات الى اندفاع السادات نحو الكتلة الاوروبية مستعينا في ذلك بالنفط السعودي ، ومتكئا على المعارضة « الاسرائيلية » التي يحلو لها هي الاخرى في صراعها على الزعامة ، ومن اجل الوصول الى السلطة ، ان تلعب ورقة السادات على المائدة الاوروبية .

الوقت ليس في صالح الامريكان

ولذلك ، وعلى الرغم مما يبدو ظاهريا ، بان المستفيد الاساسي من الحالة الراهنة هي الامبريالية الامريكية ، حيث انه بالقدر الذي تستمر فيه « عربة المفاوضات في الوحل الذي غرزت فيه » بالقدر الذي تستطيع الولايات المتحدة انتزاع مكاسب لدى الطرفين ، لحاجة كل منهما اليها .. على الرغم من ذلك الا ان حقيقة الامر مختلفة ، حيث ان حاجة كل من السادات والعدو الصهيوني للامبريالية الامريكية لا يعفيها من واجباتها تجاه اي منهما .

فالسادات ، وهو الذي قدم ايقاف الجيش المصري وهو على بوابة نصر شامل ، والذي اعاد العلاقات مع الدول الرأسمالية ، وابدى استعداده للذهاب الى ابعد من ذلك ، وخارج حدود مصر يطالب الولايات المتحدة سداد بعض هذه الفواتير التي لا يستطيع ان يتنازل عنها ، خاصة وان مطالبه - حتى الان - لا تتناقض مع جزء كبير من المشروع الدولي للتسوية ممثلا بالقرار ٢٤٢ ، فاقصى ما طالب به السادات هو العودة الى حدود ما قبل ٥ يونيو ٦٧ ، مقابل ضمان بقاء الكيان الصهيوني وامنه .

وضمن نفس السياق ، ولكن من منطلقات مختلفة ، نستطيع فهم الموقف المتصلب جدا الذي يتخذه بيغن ، فهو يرى ان قيامه بدور المغفر المتقدم ، والقاعدة الامامية للامبريالية الامريكية ، والدور الذي لعبه في تنفيذ المخطط الامبريالي وخاصة خلال العشرين السنة الاولى من حياة الكيان الصهيوني ينبغي ان يعطي « اسرائيل » مكانة خاصة في الاستراتيجية الامريكية وخاصة تلك المتعلقة بالصراع العربي - الصهيوني وبان هذه المكانة لا تنحصر في التزويد بالسلام ، ولا في تدفق المساعدات فقط ، وانما يجب ان تصل ايضا الى المزيد من الدعم السياسي وبالذات في شؤون التسوية .

هذه العوامل تفسر « البلبلة » الواضحة في السياسة الامريكية التي انتقلت من انتقاد صريح للتصلب الصهيوني ، الى امتعاض من التشدد الساداتي تحت حجة الليونة التي ابدتها « اسرائيل » !! . يضاف اليها العامل السعودي ، فمنذ زيارة ولي العهد السعودي الامير فهد الى واشنطن في آيار ١٩٧٧ ، عملت الادارة الامريكية على تحسين صورة حكام المملكة في اذهان المواطن الامريكي ، من اجل حصولها على النفط باسعار منخفضة ، ولضمان ضغط السعودية على مصر لكي تستمر في « سياستها المرنة » التي توجت فيما بعد بزيارة السادات الى القدس .

تأسيسا على كل ذلك ، فان الوقت لم يعد في صالح الاستراتيجية الامريكية التي باتت تبحث عن افضل السبل من اجل الابقاء على عجلة المباحثات مستمرة في الدوران حتى وان لم تحقق اي خطوات ملموسة على صعيد التسوية ، ولذلك اكتفى فانس بالحد الادنى المشترك بين العواصم الثلاث (القاهرة - واشنطن - تل ابيب) ووافق على لقاء قمة ثلاثية تضم السادات - بيغن - كارتر . وتعقد في وقت لاحق من هذا العام .

الا ان هذا المؤتمر سيقف امام المعضلات ذاتها ، وسيجد نفسه مطالبا بالرد على الاسئلة التي عجز الرؤساء الثلاثة عن وضع حلول لها رغما عن ارادتهم . فمساعي اي منهم من اجل تسوية اصطدمت بالمصالح المناقضة لها عند الطرفين الاخرين او احدهما . وليس الجمود الذي عانت منه المباحثات الثنائية الا النتاج الطبيعي لهذا التصادم الذي هو موضوعي اكثر منه ذاتي مهما حاول البعض ان يصوره على عكس ذلك .

وهم الانتصار الاسرائيلي

من جانبها ، تحاول « اسرائيل » ان تستمر في الحديث عن انتصاراتها فعضو الكنيست ورئيس لجنة الخارجية والامن « موشيه ارنس » يقول « اذا استعرضنا الاشهر التسعة الاخيرة ، واذا جاز لنا اعتبار تلك الفترة الجولة الاولى في المفاوضات ، فعندها اعتقد باننا حققنا نجاحا ، ويحتمل ان نقول اننا فزنا في الجولة الاولى . كان هدف السادات تركيع حكومة « اسرائيل» ومواقفها، من خلال الاستعانة بالادارة الامريكية ، ولم ينجح في ذلك عمليا » .

ودون حاجة الى مناقشة ما قاله ارنس بشأن هدف السادات ونجاحه ، فالمهم في حديثه انه ينطلق في رؤيته من متعة « الفوز » وليس غير ذلك وهذا مذاف لما تعيشه « اسرائيل » في هذه الآونة ، حيث تعاني من تمزق واضح على صعيد السلطة السياسية ، يتجسد في الصراع الدائر بين اطراف المعارضة ، وبينها وبين التحالف الحاكم . فهي وان لم تختلف جوهرا ، الا انها تختلف في شكل وسبل الوصول الى ذات الهدف الذي يريد ان يصل اليه الليكود .

حتى ابا ايبان وهو الذي يشاع عنه صياغةوثيقة الدويلة الاشتراكية التي وافق عليها الساداتيعود ليقول « لا يمكن ان نفصل بين الامن والحدود » اما رابينوالذي كشفت صحيفة «جويش كورنيكل» الناطقة بلسان الجالية اليهودية عن مشروعه الجديد ، فان مشروعه يرتكز على استعداد « اسرائيل » للموافقة على قرار مجلس الامن الرقم ٢٤٢ شريطة ان تتعهد مصر في حال رفض الاردن او غيره من الدول العربية « بيان المبادىء » المقترح اصداره ، بمواصلة المفاوضات الثنائية مع « اسرائيل » وصولا الى تسوية ثنائية . وينص المشروع ايضا على انه في حال الاتفاق حول انسحاب القوات الاسرائيلية من الضفة الغربية وغزة الى « حدود امنة » فان « اسرائيل » ستحتفظ بحقها في طرح مستقبل الفلسطينيين في المنطقتين على الاستفتاء .

ان تعدد المشروعات « الاسرائيلية » ، بغض النظر عن محتواها ، هو تعبير عن ازمة ، ومن ثم فهو لا يشير الى حالة الانتصار التي يتوهمها ارنس ، بل على العكس من ذلك يؤكد على ان العدو الصهيوني قد افتقد زمام المبادرة السياسية التي طالما كان ممسكا بها ، ولا ينبغي ان نستبعد ان ذلك قد يفقده حتى زمام المبادرة العسكرية . وهو عندما قد يقدم على خطوة عسكرية فانها لا بد وان تكون محدودة ، وتعكس شيئا من الازمة التي يعاني منها . ويصعب التكهن بوقت وحجم الفدية لان تحديد ذلك رهن لمجموعة من العوامل والمؤثرات التي لا بد وان يضعها العدو في حساباته عندما يقدم على ذلك .

لذلك لا ينبغي ان نستبعد اقدام العدو على تدخل عسكري محدود في الجنوب يكون مبرره الامن الصهيوني او حتى الدفاع عن « الاقليات المارونية»

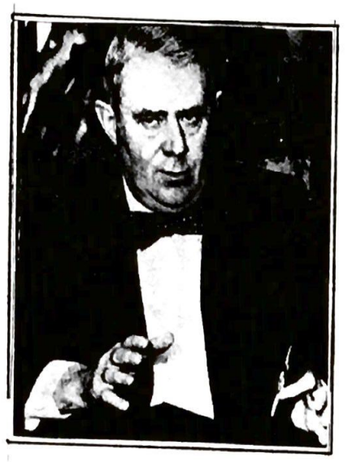

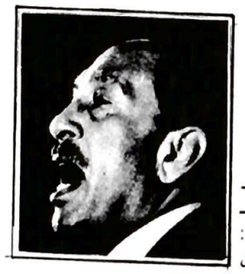

فانس - السادات - بيغن : ماذا بعد ايلول

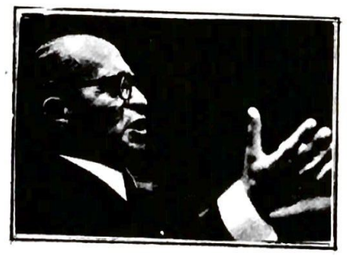

التي تتعرض لحرب الابادة .

السادات والخيار الصعب

عندما قرر السادات القيام برحلته الخيانية الى القدس المحتلة ، ومنذ ان نفذ ذلك ، وجد نفسه ان هو اراد الاستمرار في المحادثات الثنائية ،

والحفاظ على جسور المباحثات مع العدو الصهيوني مضطرا الى تقديم تنازلات كان يتوهم انه لن يضطر اليها . فاثبات جديته « في البحث عن سلام » اوصلته في بعض مراحل « الحوار الثنائي » الى التراجع حتى عن مقررات مؤتمر القمة في الرباط التي وافق عليها وساهم في صنع بعضها .

واليوم ، واذا ما قرر السادات العودة الى خطيرة التضامن العربي ، ، فان لهذا الخيار متطلبات اخرى مختلفة في بعض جوانبها عن تلك التي كانت قبل الزيارة لعل ابرزها واكثرها تاثيرا في موقف السادات وعلى مسار الاحداث هو الاعتراف بفشل امكانية الحلول السلمية مع العدو الصهيوني ، وحينها اراد السادات ام لم يشاء فان طبول الحرب ستقرع من جديد ليس بالضرورة من اجل خوض حرب سادسة - الخامسة كانت في الجنوب - ولكن لسيطرة اجواء الحرب على المنطقة .

لذا ومن الطبيعي ان يجد السادات نفسه امام خيار في غاية الصعوبة : هل يستمر في « المبادرة » التي لم يعد لديه وهم - حتى وان ادعى عكس ذلك - حول جدواها ، ام يعلن عن فشلها ويبدأ المسيرة في ركب التضامن العربي من جديد ؟

وعلى ما يبدو ان السادات وهو الذي ذاق مرارة الانحدار السريع عندما وقع اختياره على المضي في المبادرة ، لا يريد ان يكرر ذات الخطأ ولكن في مكان اخر ، حتى وان حقق له ذلك اذابة جدران معبد جبهة الصمود والتصدي ، وان وصلت المكاسب الى حد « عفى الله عما سلف » . وهنا يكمن سر تريثه ، وعدم اندفاعه للتضامن العربي بالمستوى والرغبة اللتين اعقبتا حرب اكتوبر المجيدة .

وتمهلا بانتظار جلاء الغيوم وابتعادا عن اية خطوة سريعة على طريق اي من الخيارين ، نجح السادات في ايصال جولة فانس الى شق طريق وسط ، لا تنسف فيه جسور المبادرة ، ومن ثم تبدأ رحلة العودة الى « التضامن العربي » من جهة ، ولا تسير وتيرة المباحثات الثنائية بنفس السرعة من جهة اخرى . وجاء قرار لقاء القمة في ايلول علا وسطا ، وتجسيدا لهذه السياسة ، وفي هذا ما يخدم الاستراتيجية الامريكية التي تريد ان تبقي على عجلة المحادثات الثنائية دائرة حتى وان كانت سرعتها اقل ، ولا تريد ان يعلن وبموافقة الاطراف الثلاثة فشل المباحثات الثنائية .

ولقاء ايلول هو طوق النجاة الذي سوف يتمسك به الاطراف الثلاثة من اجل البحث عن حل اخر يستطيع ان ينعش مشروعات تسوية تستطيع ان تعمر فترة اخرى من الزمن . فعلى امتداد الثلاثين سنة المنصرمة قدمت عشرات المشروعات لكنها كانت دوما تصطدم بواقعية الصراع وطبيعته التي لا ولا يمكن ان تسمح بتسوية ، وما يثير الاهتمام هو ان مثل هذه المشروعات والمشروعات البديلة لا تطفح على السطح الا حين يكون اخرها واكثرها حداثة قد استهلك ولم يعد في الوسع الاستمرار في العمل من اجله او حتى الحديث عنه، وفي الوقت ذاته حين تكون فصائل الثورة العربية وبالتحديد الثورة الفلسطينية تنتزع المزيد من المكاسب .

وبالتالي فان لقاء ايلول لن يعدو كونه حقنة جديدة لن تستطيع مهما كانت جرعتها وكثافتها ان تضع حدا للصراع ولا ان تخمده .